

خطبة لفضيلة الشيخ

محمد سعيد رسلان

فرّغها واعتنى بها

أبو إبراهيم رضوان بن محمد آل إسماعيل








بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ ألا إلٰـه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وليُّ الـصالحينَ ، وأشـهدُ أنَّ نبيَّنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه ، الصادقُ الوعدِ الأمينُ ، صـلَّى اللهُ وسـلَّمَ وبـاركَ عليـه وعـلى آلـه الطيِّبينَ الطاهرينَ ، وعلى أصحابِه أجمعينَ ، ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

أمَّا بعدُ .

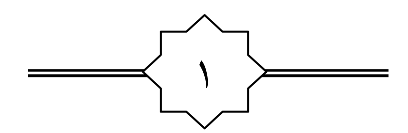
فهذه خُطبةٌ مُباركةٌ مِن خُطبِ فضيلةِ الشَّيخِ محمَّدِ بنِ سعيد رسلان حفظهُ اللهُ تعالى وباركَ فيه (1) تحدَّثَ فيها عن موضـوعٍ جليـلٍ ، وهـو الـدَّعوةُ إلى الله تبـاركَ وتعـالى ، التـي هـي مِـن الشُّروطِ التي ينبغي أنْ تتوفَّرَ في العبدِ حتَّى يكونَ مُفلحًا ، كما وَرَدَ ذلك في سُورةِ العَصْرِ .

وطريقُ الدعوةِ إلى الله تعالى فيهِ مِن المشقَّةِ والعَنَتِ ما فيه ، ولابُدَّ لكلِّ سائرٍ فيه أنْ يكـونَ عـلى بيِّنةٍ مِن ذلك ، إنْ رامَ السَّيرَ فيه على بصيرةٍ .

ومِن أهمِّ ما يلزمُ الداعي إلى الله تعالى مِن العُدَّةِ للسَّيرِ في هذه الجُدَّةِ ، أنْ يتحلَّى بالصَّبرِ والحِلمِ والأناةِ ، وأنْ يكونَ حريصًا على هدايةِ الخَلقِ إلى طريقِ الحقِّ ، دونَ أنْ يَنظُـرَ إلى شيءٍ يمـسُّه في ذلك لا في جَسَدِه ولا في عِرضِه ولا في نَفْسِه ، فلا يلتفتُ إلى شيءٍ مِن ذلكَ .

---

(1) و تاريخ إلقاء هذه الخطبة هو : السابع من ربيع الثاني ، سنة ١٤٣٠هـ



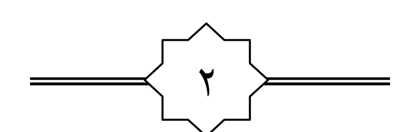
وقد ركَّز الشَّيخُ حفظه اللهُ تعالَى على هذا الأمرِ في هذه الخُطبةِ ، فقالَ :

ألا إنَّ طريقَ الدِّينِ وسبيلَ الهِدايةِ الحقَّةِ والطريقَ المستقيمَ ، وهو صِراطُ رَبِّنا تبارَكَ وتعالَى القَويمُ ، وهو ما تَركنا عليهِ نبيُّنا محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وهي مِحنةٌ إذا ساءَتْ أخلاقُ الناسِ وانحطَّتْ مُثُلهُم ، فَهِي محنةٌ وأيُّ محنةٍ ؟ إذ يلزَمُ كلَّ داعٍ إلى الله جلَّ وعَلا أنْ يكونَ مُترفِّعًا جادًّا ، وأنْ يجعلَ كلَّ تلكَ السَّفاسِفِ تحتَ مَواطئِ الأقدامِ ، وأنْ يَسيرَ إلى أمامَ أمامَ ، مِن غيرِ أنْ يُعقِّبَ ومِن غيرِ أنْ يلتَفِتَ ، وإلا فهو الصَّدُّ عن سبيلِ الله ، فأيُّ محنةٍ ؟ فاللهُ المستَعانُ ، وعليه التُّكلانُ ا.هـ

وبيَّن حفظهُ اللهُ تعالى ما كانَ عليه النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ مِن الحِلم والصَّبرِ على ما يُلاقيهِ مِن الأذَى ، ومثَّل على ذلك بذكرِ صبرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ على اليهودِ وكيفَ كانَ يرُدُّ على سُوءِ أدبِهم وخُبثِ طوِيَّتِهم بالحِلمِ والصَّبرِ وحُسنِ الخُلُقِ ، فإنَّه صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ لم يكنْ يرُدُّ الأذيَّةَ بمِثلِها ، وإنَّما كانَ ذا أَناةٍ مُحسِنًا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

ثمَّ ذكرَ الشيخُ حفظهُ اللهُ تعالى طَرَفًا مِن السِّيرةِ النَّبوِيَّةِ العَطِرَة ، تُبيِّنُ لكلِّ داعٍ ما يلزَمُه للسَّيرِ في هذا المَهْيَعِ العَسِرِ :

* فذكرَ أوَّلَ ما ذكرَ قِصَّةَ الطُّفيلِ بنِ عمرٍو رضيَ اللهُ عنهُ ، وكيفَ طلبَ مِن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ أنْ يدعوَ على (دَوْسٍ) قومِه إذْ عانَدُوا ، وكيفَ كانَ ردُّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ عليهِ .
* ثمَّ ثنَّى بقصَّةِ فتحِ خيبرَ ، وما كانَ فيها مِن وصيَّةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ لقائدِهِ في تلك الغَزوةِ ، عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
* عقَّبَ ذلكَ بذكرِ قصَّةِ إسلامِ أبي سُفيانَ بنِ الحارثِ وعبدِ الله بنِ أبي أُميَّةَ رضيَ اللهُ عنهُما ،



و هُما مِن قرابةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِـه وسلَّمَ القَريبةِ ، وكيفَ كانَ حِلمُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ عليهِما معَ شِدَّةِ عداوتِهما له صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ قبل إسلامهما .

❋ ثمَّ ذكرَ قصةَ إسلامِ ضِمادٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، حينَ جاءَ يرقِي النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ مِن الجنونِ ! لما اتَّهمه قومُه بذلك ، و هو سيِّدُ العقلاءِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وكيفَ كانَ ردُّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ عليهِ في هذا الأمرِ الـمَغيظِ .

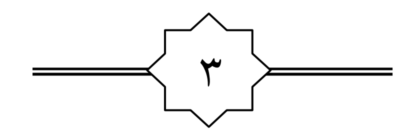
وكلُّ هذه القَصصِ تُبيِّن صفةَ الحِلمِ والأناةِ التي كانَ يتحلَّى بها سيِّدُ ولدِ آدمَ صلَّى اللهُ عليـهِ وعلى نبيِّنا وآلِه وسلَّمَ ، وتُبيِّنُ لكُلِّ داعٍ إلى الله تعالى كيفَ تكونُ الـدعوةُ إلى الله عـلَى بـصيرةٍ ، حتَّى يستطيعَ الأخذَ بمَجامِعِ القُلوبِ ، إلى دِينِ علَّامِ الغُيوبِ سُبحانَه وتعالَى .

وفي الخُطبةِ الثَّانيةِ بيَّن الشيخُ حفظهُ الله تعـالى حـالَ الـصَّحابةِ الكِـرامِ رِضـوانُ الله علـيهِم أجمعينَ ، وما كانوا عليه مِن تفقُّدِهم لحالِ الإيمانِ في قلوبِهم ، ثمَّ رجعَ الشيخُ حفظـهُ اللهُ تعـالَى إلى موضوعِ الدَّعوةِ ، فبيَّن معنى (البصيرة) في الدَّعوةِ إلى الله تعالى ، وذلك مِن خِلالِ وصـيَّةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ لأبي مُوسى ومُعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُما حِـينَ بعـثَهما إلى الـيَمنِ ليدعوَا أهلَها إلى دِينِ الله تعالَى ، ثمَّ بيَّن الشيخُ حفظهُ اللهُ تعالى ما يجبُ أنْ يكونَ عليـه الـدَّاعي مِن التَّرفُّعِ عمَّا في أيدي النَّاسِ ، وخَتَم الخُطبَة بوصيةٍ نافعةٍ لكلِّ داعٍ ، فقالَ حفظهُ اللهُ تعالَى :

واستقِمْ على مِنهاجِ ربِّك ، وإيَّاك والحيدَ عن الصِّراطِ المستقيمِ ، وتحمَّلْ أذَى النَّاسِ وبلاءَهُم ، **وتحمَّل بالأَدَبِ مَا في أخلاقِ النَّاسِ مِن قِلَّةِ الأَدَبِ** ، واستَعِنْ بالله ربِّ العالمينَ ، وكُـنْ عـلى الله مُتوَكِّلًا ، ولهُ ذاكِرًا ، وعليهِ مُقبلًا ، وعلَى الصِّراطِ المستقيمِ سائرًا ، سدَّدَ اللهُ عـلى طريـقِ الحـقِّ خُطاكَ ، وأحْسَنَ لي ولكَ العاقبةَ ا.هـ

وهذا تفريغٌ لهذه الخُطبةِ المبارَكةِ ، سِرتُ فيه على النَّهجِ الآتي :

❋ قمتُ بِعَزْوِ الآياتِ وتَخريجِ الأحاديثِ الوارِدَةِ في الخطبةِ .



* قمتُ كذلك بِتَشكيلِ الكلماتِ وضَبْطِها ، حتَّى يَتمكَّنَ القارئُ مِن قِراءَتِها بِشَكلٍ صَحيحٍ .

* قسَّمتُ الخطبة إلى فقـراتٍ ، وجعلتُ لكلِّ فقرةٍ عنوانًا ، و بِلَونٍ أحمر مُغَايِـرٍ .

* علَّقتُ علَى بعـضِ المواضعِ مِن الخطبة ؛ لبيانِ معنَى كلمةٍ ، أو لتوثيقِ عبارةٍ ، أو لـذكرِ فائدةٍ مُتعلِّقةٍ بالموضوعِ ، وما شَابهَ .

* وضعتُ في آخره فهرسًا للمواضيعِ والفوائدِ .

وقَبْلَ أنْ أختِمَ أُحبُّ أنْ أشكرَ القائمينَ على موقعِ الشَّيخ محمَّد سعيد رَسلان علَى مايَبذُلونَـهُ مِن جُهدٍ في نَشرِ العِلمِ الصَّحيحِ القائِمِ علَى الكتـابِ والـسُّـنَّةِ ، فَجـزاهُم اللهُ خَـيرًا . وكـذلكَ أشكرُ كلَّ مَن ساعدَني في هذا العملِ ، و أسألُ اللهَ تعالى أنْ يجـعلَ جميعَ أعمالِنا خالصـةً لوجهِهِ الكريمِ ، إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليهِ ، وصلَّى اللهُ علَى نبيِّنـا محمَّـدٍ وعـلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ وسـلَّمَ ، والحمْدُ لله رَبِّ العالمينَ .

قَـيَّدهُ بِقَلَمِهِ

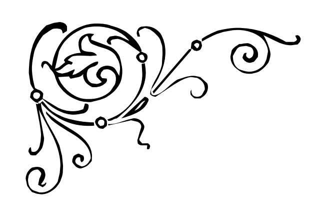
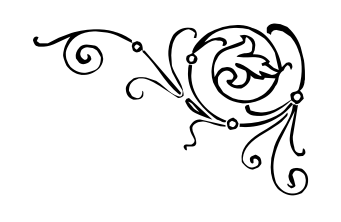
أبو إبراهيم

رِضوانُ بنُ محمَّد آل إسماعيل

عَجْمان ـ أ . ع . م

* رابطُ موقعِ الشَّيخِ محمَّد سعيد رَسلان حفِظَهُ اللهُ تعالى :

www.rslan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ، ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بـالله مِـن شُرورِ أنفـسِنا ومِـن سيِّـئاتِ أعمالِنا ، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهدُ ألا إلـٰهَ إلا اللهُ وحـدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محُمَّدًا عبدُه ورسولُه صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ النساء: ١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ الأحزاب: ٦٩ – ٧٠

أمَّا بعدُ .

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هَدْيُ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وعـلَى آلِـه وسـلَّمَ ، وشرَّ الأمورِ محُدثاتُها ، وكُلَّ محُدَثةٍ بدعةٌ ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ .

أمَّا بعدُ [1] .

---

(١) هذه الخُطبةُ رواها مسلمٌ في صحيحِه (٨٦٧) ، وابنُ ماجهْ في سُننِه (٤٥) ، يُسمِّيها العلماءُ (خُطبةَ الحاجَةِ) ، ومِن السُّنة ابتداء الخُطبةِ بها ، سواءٌ كانت خُطبةَ جُمـعةٍ أو عيدٍ أو نكاحٍ ، أو درسٍ أو محاضـرةٍ ، انظر : السلسلةَ الصحيحةَ (١/ ٢٨) .

❖ وجوبُ الدعوةِ إلى اللهِ ، وما فيه مِن المشقَّةِ :

فإنَّ اللهَ تعالى أَرسلَ نبيَّه محمدًا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ بالهدى ودِينِ الحقِّ ليُظهِرَه على الدِّينِ كلِّه ، وطريقُ الدَّعوةِ إلى الله تباركَ وتعالَى فيه مِن الصُّعوباتِ ما عانَى مِنه الأنبياءُ والمرسلونَ ، وهو حَتْمٌ لازمٌ لا يُفارِقُ مَن دعا إلى الله تباركَ وتعالَى على طريقةِ المرسلينَ ، والدَّعوةُ إلى الله تعالى مِن الشُّروطِ التي ينبغي أنْ تتوفَّرَ في العبدِ حتَّى يكونَ مُفلحًا ؛ لأنَّ اللهَ جلَّ وعلا لما أَخبرَ عن خُسرانِ الإنسانِ استثنَى مَن كانَ مُتَّصفًا بصفاتٍ أربعٍ [1] ، ومِن هذه الصِّفاتِ : التَّواصي بالحقِّ والتَّواصي بالصَّبرِ ، والتَّواصي بالحقِّ لابدَّ فيه مِن الدَّعوةِ إلى الله جلَّ وعلا ، وكذلك التَّواصي بالصَّبرِ لابُدَّ فيه مِن الدَّعوةِ إلى الله ربِّ العالمينَ .

فالدَّعوةُ إلى الله ربِّ العالمينَ مما يُشترَطُ كي يكونَ العبدُ مفلحًا ، ناجيًا مِن الخُسرانِ المبينِ .

❖ من أشدِّ الناس ابتلاءً في سبيلِ الدعوةِ نبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ :

والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ هو إمامُ الدُّعاةِ وسيِّدُ المرسلينَ ، ونبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ عانَى ما عانَى ، ولَقِيَ ما لَقِيَ ، فكانَ صابرًا مُحتسِبًا ، يَدْعو إلى الله ربِّ العالمينَ

---

(١) وذلك في سورة العصر ، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : استثنى الله سبحانه وتعالى هؤلاء المتصفين بهذه الصفات الأربع :

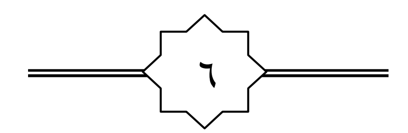
* الصفة الأولى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الإيمان الذي لا يخالجه شك ولا تردد .
* الصفة الثانية : ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ ، والصالحات هي التي اشتملت على شيئين :

١ ـ الإخلاص لله عز وجل .   ٢ ـ المتابعة للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

* الصفة الثالثة : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي : صار بعضهم يوصي بعضا بالحق ، والحق : هو الشرع .
* الصفة الرابعة : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ وهو ثلاثة أقسام :

١ ـ صبر على طاعة الله تعالى .   ٢ ـ صبر عن محارم الله تعالى .   ٣ ـ صبر على أقدار الله تعالى .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : لو لم ينزل الله تعالى على عباده حجة إلا هذه السورة ، لكفتهم ا.هـ يعني : كفتهم موعظة وحثا على التمسك بالإيمان والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله تعالى ، والصبر على ذلك ا.هـ باختصار ، انظر : تفسير جزء عم (٣١٤ـ٣١٧) .



على بصيرةٍ ، ويجاهدُ في الله تعالى حقَّ جهادِهِ ، ويصبرُ على اللأْواءِ والمشقَّةِ والعَنَتِ ، حتَّى أتـاهُ اليقينُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

وقد لَقِيَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ما لَقِيَ ، فوجدَ ذلك مِنه صلَّى اللهُ عليهِ وعـلَى آلِه وسلَّمَ حِلمًا عظيمًا ، وكَرَمًا جسيمًا ، وتَحمُّلًا مُقيمًا ، ولم يَرُدَّ النبـيُّ صـلَّى اللهُ عليـهِ وعـلَى آلِـه وسلَّمَ علَى الأذيَّةِ بمثلِهَا ، وإنَّما كانَ ذا أَنَاةٍ مُحسِنًا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ [1] .

❖ تحيّةُ اليهودِ الخُبثاءِ وحِلمُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ عنهم :

فالنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ كما في الصحـيحينِ ، لما دخَلَ بعضُ اليهـودِ عليهِ ، فَقَالَ :

---

(١) الحِلم هو: ضبط النفس والطَّبع عن هيجان الغضب . والأناة : التثبُّت في الأمر ، وذلك من شِعار العقلاء .

قال الشيخ سليم الهلالي حفظه الله تعالى في شرح رياض الصالحين (١/ ٦٧٨) :

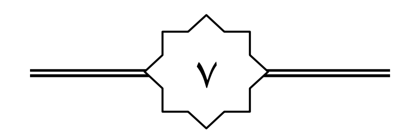
الحِلم منزلة بين رذيلتين : الغضب والبَلادة ، فإذا استجاب العبد لغضبه بلا تعقُّل وتبصُّر كان على رذيلة ، و إن رضي بالظلم والهضم فهو على رذيلة لذلك ، فإن تحلَّ بالحلم مع القدرة كان على فضيلة .

قال : ثم تأتي الأناة ، وهي تصرف حكيم بين العجلة والتباطؤ ، وهي دالة على رزانة العقل ؛ لأنها تجمع التـدبر والتبصر والتأمل والتمهل مع خشية الفـوت . قال : وهي مطلوبة في كل أمر إلا في أمـر الآخـرة ، فالخـير كل الخير تقديـمه و إنجازه ؛ لأنه من باب المسـارعـة إلى الخيرات ا.هـ

وقد ورد أن هاتين الخصلتين يحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كما في حديث أشجِّ عبد القيس و اسمه المنذر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة) ، رواه مسلم (٢٦) .

قال الإمام النـووي رحمه الله تعـالى في شرحه على مسـلم (١/ ١٩٥) : و سبب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك له ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا إلى المدينة بادروا إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، و أقام الأشجُّ عند رحالهم ، فجمعها وعقَلَ ناقته ، ولبس أحسن ثيابه ، ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله و سلم فقرَّبه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأجلسه إلى جانبه ، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (تبايعون على أنفسكم وقومكم ؟) فقال القوم : نعم . فقال : الأشـجُّ : يا رسول الله ، إنك لـم تُزاوِل الرجل عن شيء أشـد عليه من دينه ، نبايعك على أنفسنا ، و نرسل من يدعوهم ، فمن اتبـعنا كان منا ، ومن أبى قاتلناه . قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (صدقت ، إن فيك خصلتين ...) الحديث ا.هـ

❊ فائدة : العرب كذلك تطـلق الحِلم على العقل ، ومنـه قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ ـ الطور : ٣٢ ـ وكما كان يقـول كفار مكة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه سب آلهتهم وسفه أحلامهم ، أي : عقولهم ، قال الراغب الأصفـهاني رحمه الله تعالى =



السَّامُ عليكَ يا محمَّدُ . أي : الموتُ أو الدَّمارُ أو الهلاكُ . ففهِمَتْهَا عائشةُ رضيَ اللهُ عنهَا ؛ فقالتْ : بل السَّامُ عليكُمْ واللَّعنةُ ، يا إخوانَ القِرَدةِ والخنازيرِ .فقَالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وسلَّمَ : (مهلًا يا عائشةُ ، فإنَّ الرِّفْقَ ما دخلَ في شيءٍ إلَّا زانَهُ ، وما نُزِعَ مِن شيءٍ إلا شَانَهُ) فقَالَتْ : أوَلَمْ تسمَعْ ما قالوا ؟ قالَ : (سمِعْتُ ، ولكنْ قُلْتُ : يُسْتجابُ لي فيهِمْ ، ولا يُستجَابُ لهُمْ فيَّ) صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وسلَّمَ [١] .

❖ الوصية بالأناة وعدم العجلة :

وقد وصَّى اللهُ تعالى نبيَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وسلَّمَ بالأنَاةِ وعدَمِ العَجَلَةِ ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [٢] ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [٣] فوصَّاهُ اللهُ تبارَكَ وتعالى بعَدَمِ العجلةِ وبالأنَاةِ والرِّفْقِ والحِلْمِ ، وهُوَ سيِّدُ الحُلَمَاءِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وسلَّمَ .

فنبيُّنَا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وسلَّمَ يُبيِّنُ لكُلِّ داعٍ إلى اللهِ جَلَّ وعَلَا ، ويُبَيِّنُ لكُلِّ مسلِمٍ يتَمَسَّكُ بدينِهِ ، ويحِبُّ نبيَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وسلَّمَ يُبيِّنُ له أنَّه يجِبُ عليهِ أن يترَفَّقَ وأنْ يكونَ ذا أنَاةٍ حَليمًا ، وألَّا يَعْجَلَ .

= في المفردات في غريب القرآن (ص:١٣٦) : وليس الحلم في الحقيقة هو العقل ، لكن فسروه بذلك لكونه من مسبِّبَات العقل ا.هـ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٠) و مسلم (٢١٦٥) و (٢١٦٦) .

والرفق هو الجانب التطبيقي لصفتي الحلم والأناة ، قال الشيخ سليم الهلالي حفظه الله تعالى في شرح رياض الصالحين (١٦٧٨) : ثم يأتي الجانب التطبيقي من الحلم والأناة وهو الرفق ، حيث يأخذ العبد بأيسر الأمور وأرشدها ، فتراه هيِّنًا ليِّنًا ، كالجمَل الأنف ، حيثما قيد انقاد ، ولو استنخته على صخرة استناخ ، فتنمو الألفة بينه وبين إخوانه المؤمنين حيث يسلك الجميع سبيل بناء مجتمع الأخوة والمحبة والتآلف والتوادد والتعاطف ا.هـ

(٢) سورة طه ، الآية : (١١٤) .

(٣) سورة القيامة ، الآية : (١٦) .

❖ قصَّةُ الطُّفَيل الدَّوسي رضي الله عنه مع قومِه :

فالنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ لما جاءَ الطُّفَيْلُ بن عَمْـرٍو الـدَّوْسِيُّ رضيَ اللهُ عنـهُ كـما ذَكَرَ ذلكَ أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، لما جَاءَ الطُّفَيْلُ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ فقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إنَّ دَوْسًا قد كَذَّبَتْ ربَّها وعانَـدَت ، فادْعُ اللهَ عليهَا . قالَ أبو هُريرَةَ : فقَالَ القَوْمُ : هَلَكَتْ دَوْسٌ . لِأَنَّهم ظَنُّوا أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسـلَّمَ سـيَدْعُو علـيهِمْ ، ودُعَـاؤُهُ مستجابٌ فهُو الهَلَاكُ لهمْ حينئذٍ ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعـلَى آلِـه وسـلَّمَ : (اللهُـمَّ اهْـدِ دَوْسًا ، وائْتِ بِهَا) صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ [١] .

وطُفَيلٌ رضيَ اللهُ عنهُ لما نزَلَ مَكَّةَ ، وكَانَ رجلًا شـاعِرًا ، يعـرِفُ رُتَـبَ الكَـلَامِ ومَواقِعَـهُ ، ويُميِّزُ حَسَنَهُ من أحسنِهِ ، لما دَخلَ مَكَّةَ أقْبلَ عليهِ بعضُ النَّاسِ ، فوُصِّيَ بألَّا يَسْمَع محمَّدًا صـلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ وإلَّا سَحَرَهُ ، فجعَلَ في أُذنيهِ كُرْسُفًا ـ أي : قُطْنًا ـ حتَّـى لا ينفُـذَ إليـهِ مِن كَلامِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ شيْءٌ ، ثُمَّ مضَى لطَـيَّتِه [٢] فوَجَـدَ النَّبـيَّ صـلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ يُكَلِّمُ بعضَ النَّاسِ ، فنفَـذَ إلى أُذُنَيـهِ ووَصَـلَ إلى قلبِـهِ مِـنْ كَلَامِـهِ شَيْءٌ ، فاستَحْسَنَهُ ، فنَزَعَ كُرْسُفَهُ من أذنيهِ فقالَ : يا لله ، ما أحْسَنَ هَذا الكَلَامَ ! وأقبلَ عَلَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ فَبَسَطَ يَدَهُ مُبايِعًا .

ثُمَّ رَجَعَ إلى قَوْمِهِ ، فسأَلَ اللهَ تباركَ وتعالى أن يجعلَ لَهُ آيةً ، فنزَلَ نورٌ في وجهِهِ، فقالَ : اللهُمَّ في غيرِ وَجْهي حتَّى لا يظنُّوا أنَّها مُثـلَةٌ [٣] ؛ لأنِّي فارقْتُ دينَهُم . فكانَ نُورُه في طَرَفِ سَـوْطِهِ ،

---

(١) قصة الطفيل رضي الله عنه عند البخاري (٢٩٣٧) ومسلم (٢٥٢٤) .

قال الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح (٦/ ١٣٦) : باب : الدعاء للمشركين بالهدى ليتألَّفهم : و قوله : ليتألفهم : من تفقه المصنِّف إشارة منه إلى الفرق بين المقامين ، وأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان تارة يدعو عليهم ، و تارة يدعو لهم ، فالحالة الأولى : حيث تشتد شوكتهم ، ويكثر أذاهم ، الحالة الثانية : حيث تؤمن غائلتهم ، ويرجى تألفهم ا.هـ

(٢) لطيته ، أي : لمراده ، وما طوى عليه قلبه . (٣) أي : تشويه .

فدخلَ عليهِمْ ، فدَعَاهُمْ وذكَّرَهُمْ ، ثمَّ عادَ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ حزينًا كئيبًا ، يطلبُ مِن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ أن يدعوَ اللهَ عليهِمْ ، والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ يأخذُ بِالرِّفْقِ في أمورِهِ كُلِّهَا ولا يَعْجَلُ ، هُو الأَنَاةُ جَميعُهَا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ في حِلْمٍ ووَقَارٍ : (اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا) وقد كَانَ ؛ لأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ في حرصِهِ على هدايةِ الخلقِ إلى سبيلِ الحقِّ يبذُلُ نفسَهُ ، ويضَحِّي بِكُلِّ ما يَمْلِكُ في سبيلِ الأَخْذِ بِأيدي النَّاسِ إلى الصِّرَاطِ المستَقِيم ، وهُمْ يأبَوْنَ إلَّا أنْ يُعَانِدُوهُ ، وإلَّا أنْ يُعادُوهُ ، وهُمْ يَتآمرُونَ على قتلِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

❖ قصَّةُ فتحِ خيبرَ :

وفي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ سَهْلِ بنِ سعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ قالَ يوْمَ خيبر لما استعْصَتْ بِحِصْنِهَا على رَسُولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ أوَّلًا ، قالَ : (لَأُعطِيَنَّ الرَّايةَ غَدًا رَجُلًا يحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ، ويحِبُّهُ اللهُ ورسُولُهُ ، يفتَحُ اللهُ على يديهِ) فباتَ النَّاسُ تلكَ اللَّيلةِ يلوكونَ ـ أي : يختَلِطُ كلامُهُمْ ـ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ، وفي روايةٍ أنَّ عُمَرَ رضوَانُ الله عليهِ قالَ : فوَالله مَا تمنَّيْتُ الإِمَارَةَ ، ما تمنَّيْتُ الإمْرَةَ إلَّا ليلَةَ إذْ . لِقَوْلِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ : (يحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ، ويحِبُّهُ اللهُ ورسُولُهُ ، يفتَحُ اللهُ على يديْهِ) فلمَّا أصبحَ النَّاسُ ، وكُلُّهُمْ يتمنَّى أنْ يُعْطَاهَا ، قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ : أينَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ ؟ قالُوا : يشْكُو رمَدًا [1] بعَيْنَيْهِ ، فأرسلَ إليهِ ، فلمَّا جاءَ بَصَقَ في عَيْنَيْهِ ، فبَرِئتَا ،

---

(١) قال ابن فارس رحمه الله تعالى في معجم مقاييس اللغة (ص : ٤٢١) : رمد : الراء والميم والدال ثلاثة أصول : أحدها : مرض من الأمراض ، والآخر : لون من الأوان ، والثالث : جنس من السَّعي ، فالأول : رمَدُ العين ، ومنه : الرَّمْدُ وهو الهلاك ، والثاني : الرَّماد ، والأرمد : كل شيء أغبر فيه كُدرة ، والأصل الثالث : الارمداد : شدة العَدْوِ ، يقال : ارمدَّ الظليم : أسرع ا.هـ

فأعطَاهُ الرَّايةَ ، وقَالَ لهُ : (**انفُذْ على رِسْلِكَ** ، حتَّى تنـزِلَ بـسَاحَتِهِمْ ، فـادْعُهُمْ إلى الإِسْـلَامِ ، وأَعلِمْهُم بحَقِّ الله عليهِمْ ، فوَالله لَأَنْ يهدِيَ اللهُ بكَ رجلًا واحدًا خيرٌ لكَ مِن حُـمْرِ النَّعَمْ)[1] وهي أنفَسُ أموالهمْ عندَهُمْ[2] .

قالَ : (**انفُذْ على رِسْلِكَ**) أأدعوهم وأُقاتِلُهم حتَّى يكونوا مثلَنَا ؟ قالَ : (**انفُذْ على رِسْلِكَ**) فكانَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ حريصًا على هِدَايةِ النَّـاسِ إلى الحـقِّ ، وإلى الـصِّرَاطِ المستقِيم ، يبذُلُ في ذلك وُسعَهُ ، ويَبْلُغُ فيه غايَةَ جُهْدِهِ ، ولَا يُقَـصِّرَ صـلَّى اللهُ عليـهِ وعـلَى آلِـه وسلَّمَ في شيءٍ مِنَ الوسَائِلِ التي يُتوسَّلَ بِهَا مِنْ أجلِ الوُصولِ إلى ذلِكَ المقصُودِ الكَبـيرِ صـلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

❖ قصَّةُ إسلامِ ابنِ عمِّ رسولِ اللّه صلَّى اللّهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ وابنِ عمَّته :

فَالنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ يُقابِلُ تلكَ الإساءَاتِ بـصَدْرٍ رَحـبٍ ، وفـؤادٍ متحمِّـلٍ يقِظٍ ، ولا يستَفِزُّهُ شيءٌ مِن ذلكَ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، لما مضى صلَّى اللهُ عليـهِ وعـلَى آلِه وسلَّمَ مَعَ أصحابِهِ لفتحِ مكَّةَ ، لقيَهُ في بعضِ الطَّريقِ أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ ، هو ابنُ عمِّ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، ولقيهُ عبدُ الله بنُ أبي أمَيَّةَ بنِ المغيرَةَ ، وهو ابنُ عَاتِكَةَ بنتِ عبدِ المطَّلِبِ عمَـةِّ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وهو

---

(١) رواه البخاري (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦) .

(٢) قال الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح (٧/ ٦٠٠) : (حُـمْرُ النَّعَم) هو من ألوان الإبل المحمودة ، قيل : المراد : خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها ، وقيل : تقتنيها وتملكها . وكانت مما تفاخر العرب بها ا.هـ

وقال النـووي رحمه الله تعالى (٨/ ١٨٠) : حمر النعم : هي الإبل الحـمر ، وهي أنفس أموال العرب ، يضربون بها المثل في نفاسـة الشيء ، وأنه ليس هناك أعظـم منه ، وقد سبق بيان أن تشـبيه أمور الآخرة بأعـراض الدنيا إنما هو للتـقريب من الأفهام ، و إلا فذرَّة من الآخـرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت ا.هـ

أخُ أمِّ سَلَمَةَ رضيَ اللهُ عنهُ زوجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ لِأبيهَا .

وكانَ أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ أخًا للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ مِن الرَّضاعةِ ، ولكنَّه ظَلَّ مُحارِبًا للإسلامِ بلِسانِه ، فقد كانَ شاعرًا ، وبسيفِه وسنانِه عِشرينَ عامًا ، ظَلَّ يُحارِبُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ في مواقعِه بسيفِه وسنانِه ، ويُحارِبُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ في أطباقِ الجزيرةِ كلِّها بلِسانِه ، لا يتخلَّفُ ولا يفْتُرُ ، ثمَّ جاءَ تائبًا مُنيبًا مُسلمًا [1] .

وأمَّا ابنُ عمَّتِه فقد كانَ في مكَّةَ يقترحُ علَى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ أنْ تكونَ له جَنَّةٌ فيها أعنابٌ ونخيلٌ ، وتجري فيها الأنهارُ ، وأنْ تكونَ له القُصورُ ، وأنْ يَرقَى في السَّماءِ ، ويَشترِطُ ألَّا يُؤمِنَ لرُقِيِّه حتَّى يأتِيَ بكتابٍ يقرؤُه ، فكانَ يَشْغَبُ على رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ [2] .

---

(١) أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه ، اشتهر بكنيته ، واسمه المغيرة ، و كان ممن يؤذي النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل إسلامه ، و يهجوه و يؤذي المسلمين ، و هو الذي عناه شاعر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حسان بن ثابت رضي الله عنه في قصيدته المشهورة :

ألا أَبلِغْ أبا سُفيانَ عنِّي ... مُغَلْغَلةً فقد برِحَ الخفاءُ

هَجَوْتَ مُحمَّدًا فأجبتُ عنه ... وعندَ الله في ذاكَ الجزاءُ

ولما أسلم رضي الله عنه اعتذر عما كان منه ـ والإسلام يجبُّ ما قبله ـ فقال في ذلك شعرًا حسَنًا ، من ذلك ما قاله حين دخل على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليُسلِم ، فقال معتذرًا :

لَعَمْرُكَ إنِّي يَومَ أَحمِلُ رايةً ... لتَغلِبَ خيلُ اللات خيلَ مُحمَّدِ

لكالمُدلجِ الحيرانِ أَظْلَمَ لَيْلُهَ ... فَهذا أَوانِي حِينَ أُهدَى فأَهتَدِي

أي : حين يهديني الله تعالى فأهتدي بهدايته سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ ـ التوبة: ١١٨ـ فلولا توبة الله تعالى عليهم ما كانوا ليوفقوا إلى التوبة . انظر : معالي الرتب فيمن جمع بين شرفي الصحبة والنسب (ص : ٣٠٨) .

و في الإصابة (١٠٠٢٨) و يقال : إن عليًّا رضي الله عنه علَّمه لما جاء ليسلم أن يأتي النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قِبَل وجهه فيقول : ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ ففعل ، فأجابه صلى الله عليه و على آله وسلم : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ ـ يوسف : ٩١، ٩٢ ـ ، فأنشده أبو سفيان رضي الله عنه البيتين السابقين .

(٢) ذكر ابن هشام رحمه الله تعالى وغيره أن المشركين اجتمعوا عند الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمدٍ فكلِّموه وخاصِموه حتى =

فلمَّا كانَ في طريقِ الهجرةِ ، ولكنَّه كانَ عائدًا ، كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ذاهبًا إلى مكَّـة فاتحًا ، فجاءاهُ ، فأرادا أنْ يَدخُلا عليه ، وكلَّمتهُ أمُّ سلمةَ رِضوانُ الله عليهَا فقالتْ : يـا رسـولَ الله ، إنَّما هو ابنُ عمِّكَ ، وابنُ عمَّتِك ، وصِهرُك . تعني : أخاها لأبيها ، وهو ابنُ عمَّـةِ رسـولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ . فقالَ : (وما أصنَعُ بهما ؟ لا حاجةَ لي فيهما ، أمَّا ابنُ عمِّـي : فقد هَتكَ عِرضي ، وأمَّا ابنُ عمَّتي : فهو الذي قالَ في مكَّـةَ ما قالَ) فلمَّا خرجَ الجوابُ إليهما ، كانَ مع أبي سُفيانَ بنِ الحارثِ بُنَيٌّ له ، فقالَ : أمَّا إذْ قالَ رسولُ الله صـلَّى اللهُ عليـهِ وعـلَى آلِـه وسلَّمَ هذا ، فوَالله لآخذنَّ بيدِ ولدي هذا ، ولأضـرِبَنَّ في مجاهِلِ الصَّحـراءِ حتَّى نَهلَكَ . فلمَّـا

= تُعذَروا فيه ، فبعـثوا إليه أن أشراف قومه يريدون أن يكلـموه ، فجاء صلى الله علـيه وعلى آله وسلم سريعـا ، وكان عليـهم حريصا يحب رُشدهم ، فكلَّموه ، وقالوا : شتمت آلهتنا ، وفرقت جماعتنا ، فإن أردت مالا جمعنا لك ، وإن أردت ملكا ملكناك علينا ، وإن أردت شرفا فنحن نُسوِّدُك علينا ، إلى آخر ما قالوا ، فرد عليهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال : ولكن بعثني الله إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا . فقالوا : يا محـمد ، إن كنت غير قابل منا شيئا فـسل ربك الذي بعثك ليبسط لنا بلادنا ، و ليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائـنا إلى آخر ما قالوا ، فقـال صلى الله عليه و على آله وسلم : ما بهذا بعثت إليكم من الله ، ولكن الله بعثـني بشـيرا ونذيرا . فقالوا : نحن نعبد الملائـكة وهي بنات الله ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ وقال قائـلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبـيلا ، فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله علـيه وعلى آله وسلم قام عنهم ، وقام معه عبـد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا محـمد ، عرض عليك قومـك ما عرضوا فلم تقبل منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقـول ، ويصدقـوك ويتبعـوك ، فلم تفعل ، فوالله لا أؤمـن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سُلَّما ، ثـم ترقى فيه و أنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معـك بنسخة منشـورة معك أربعة من الملائكة يشهـدون لك أنك كما تقـول ، وايـم الله لو فعلت ذلك لظنـنت أني لا أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، و انصرف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حزينا أسِفًا لما فاته من إسلام قومه . انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٨٧) .

فأنزل الله تعالى في هذا المجلس وفيما قاله عبد الله بن أبي أمية آيات تتلى :

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ الإسراء: ٩٠ - ٩٣

قال ابن كثـير رحمه الله تعالى في تفسيره (٣/ ٦٧) : وهذا المجلـس الذي اجتمع هؤلاء لـه ، لو علم الله منهم أنهم يسـألون ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ، ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا ا.هـ

نُقِلَ ذلك إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ رَقَّ لهما ، وأَذِنَ لهما ، فدَخلا فأسلما رِضوانُ الله عليهما [1] .

ولو أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ تركَهما لهلَكا هلاكَ الأَبدِ ، ولكنْ شتَّانَ بين هذا الحِلمِ في موضعِه وبينَ هذا الرِّفقِ في محلِّهِ ، وهذه البصيرةِ في الدَّعوةِ إلى الله جلَّ وعلا وحدَه ، شتَّانَ بين هذا وبينَ عُنفٍ عنيفٍ ، وبينَ دفعٍ غيرِ شريفٍ ، لا يأخذُ به النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، ولا يَليقُ بمَقامِه الذي أحلَّه اللهُ فيه صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

حَسُنَ إسلامُهما بَعْدُ ، فأمَّا ابنُ عمَّتِه صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، فإنَّه استُشهِدَ في حِصارِ الطائفِ ، وأمَّا أبو سفيانَ بنُ الحارثِ ، فكانَ مِن الثَّابتينَ مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ في لِقاءِ هَوَازِنَ في حُنَينٍ ، وكانَ قد أخذَ بثَفَرِ بغلَةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وهُوَ السَّيرُ الذي يكونُ في مُؤَخَّرِ السَّرجِ ، كانَ معه ، وكانَ معه العبَّاسُ رِضوانُ الله عليهما ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ في ذلك الموقِفِ العصيبِ : (مَن مَعي ؟) فقالَ : هُو ذا ابنُ أمِّك يا رسولَ الله [2] .

هو ابنُ عمِّ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ورَضيعُه ، كانَ أخًا له مِن الرَّضاعةِ ، رَضعَا معًا ، و الحمزةُ وأبو سلمةَ ، فهم جميعًا إخوةٌ مِن الرَّضاعِ صلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا

---

(١) ذكر ذلك الحافظ رحمه الله تعالى في الإصابة (٤٥٦١) في ترجمة عبد الله بن أبي أمية ، وقد قالت أم سلمة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين أعرض عنهما : لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك . وذكر ذلك ابن عبد البر رحمه الله تعالى في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٧٤) .

(٢) قال الحافظ رحمه الله تعالى في الإصابة (١٠٠٢٨) : وأنشد له أبو الحسن مما قاله يوم حنين :

إنَّ ابنَ عمِّ المرءِ مِن أعمامِهِ ... بني أبيه قُوهُ مِن قُدَّامِهِ
فإنَّ هذا اليَومَ مِن أيَّامِهِ ... يُقاتِلُ الحِرْمِيُّ عَن إحرَامِهِ
يُقاتِلُ المسلِمُ عن إسلامِهِ

وقصة ثباته رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حنين ، عند البخاري (٤٣١٥) وقوله : ابن أمك ، أي : من الرضاع .

ورضيَ اللهُ عنْ أصحابِهِ أجمعينَ [1] .

فالنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ يستعمِلُ هذا الحِلمَ في هذا الموضِعِ ، و أنتَ تعلمُ أنَّ ظُلْمَ القَرابةِ القَريبةِ مُؤلِمٌ كالسَّيفِ المسمومِ ، وكالنَّصلِ الذي يُغرَسُ في حَبَّةِ القلبِ وفي سواءِ الفُؤادِ كما قالَ الشَّاعرُ القَديمُ :

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً   عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المهنَّدِ

وقد لَقِيَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ مِن ذلك ما لَقِيَ ، فصَبرَ واحتَسَبَ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

❖ أعمامه صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ثلاثة أقسام :

أعمامُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ثلاثةُ أقسامٍ [2] :

* فقِسمٌ أسلمَ وآمنَ ، وجاهدَ في سبيلِ الله ربِّ العالمينَ وصبرَ : العبَّاسُ والحمزةُ ، وثانيهمَا أفضلُهما ، وقد ماتَ شهيدًا رضيَ الله عنه في أُحُدٍ ، وهو سيِّدُ الشُّهداءِ .

* وقِسمٌ سانَدَ وساعَدَ ، ولم يؤمنْ ، وظلَّ كذلك حتَّى ماتَ كافرًا ، وهو : أبو طالِبٍ ، عمُّ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، و قد بَذلَ في سبيلِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه

(١) هم ليسوا جميعًا إخوةً من الرضاع ، فإن أباسفيان بن الحارث رضي الله عنه أخ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الرضاع ، إذ أرضعتهما حليمة السعدية ، وليس هو أخا للبقية ، فإن حمزة وأباسلمة رضعا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد أرضعتهم ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح ، والله تعالى أعلم . انظر : معالى الرتب (ص : ١٠٩) و(ص : ٣٠٨) .

(٢) هذه الأقسام الثلاثة فيمن أدرك الإسلام منهم ، فأسلم اثنان ، وبقي على الكفر اثنان ، والقسم الرابع : هم أعمامه صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذين لم يدركوا الإسلام ، وهم : الحارث ، وهو أبو أبي سفيان الذي مر ذكره ، والزبير ، والمقوم ، وحَجل ، وقُثَم ، والغيداق ، وعبد الكعبة ، وضرار ، فهؤلاء كلهم لم يدركوا الإسلام ، وقيل : إن ضرارا مات في أول أيام المبعث . انظر : معالي الرتب (ص : ٩٦) .

وسلَّمَ ومِن أجلِ حِياطَتِهِ ما بَذلَ ، ودَخَلَ مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ الشِّعبَ ، وما نالت قُريشٌ مِن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ شيئًا يكرهُه حتَّى ماتَ أبو طالبٍ كما قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، ومع ذلكَ غلبَتْ عليهِ شِقوَتُه ، فكانَ آخرَ ما قالَ أنَّه على دِينِ عبدِ المطَّلِبِ ، فماتَ كافرًا ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ عندَ رأسِهِ يقولُ : (يا عمُّ ، قُل لا إلٰـه إلا اللهُ ، كلمةً أحاجُّ لك بها عندَ الله) فكانَ آخِرَ ما قالَ : أنْ قالَ : إنَّه على دِينِ عبدِ المطَّلِبِ ، وماتَ كافرًا (1) .

والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ كانَ حريصًا على هدايتِه ، ولكنَّ هِدايةَ التوفيقِ بيدِ الله ربِّ العالمينَ وحدَه ، لا يَملكُها أحدٌ إلا اللهُ تباركَ وتعالَى ، ولَيسَتْ لأحدٍ مِن الخلقِ قَطُّ ، والهِدايةُ التي هي لِلنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ إنَّما هي هِدايةُ التَّعليمِ والإِرشادِ والبيانِ والدلالةِ ، وقد أدَّاها على وَجهِهَا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ (2) .

* وأمَّا القِسمُ الثَّالثُ فهو الذي حَاربَ ، وعانَدَ ، ووقفَ في وجهِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وأنزلَ الله ربُّ العالمينَ فيه سُورةً تُتلَى في المحاريبِ ، ويتقرَّبُ المسلمونَ بها وبتلاوتِها إلى الله ربِّ العالمينَ (3) ، و لهم بكلِّ حرفٍ مِن حروفِها عشرُ حسناتٍ ، كما قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ

---

(1) رواه البخاري (٤٧٧٢) ومسلم (٢٤) (٣٩) .

(2) قسَّم أهل العلم الهداية إلى نوعين :

* هداية دلالة وإرشاد : وهذا للخلق ، وهو واجب ـ مع القدرة ـ على كل مسلم يريد الفلاح ، كما سبق ، وهو المقصود في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾ الشورى : ٥٢

* هداية توفيق وإلهام : وهذا بيد الله تعالى وحده ، وليس إلى أحد من الخلق ، قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه و على آله وسلم : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: ٥٦

(3) وهي سورة المسد ، وأولها ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ ﴾ وقد نزلت بأكملها ردا عليه ؛ لأنه قال للنبي صلى الله عليه و على آله وسلم ـ كما عند البخاري (٤٩٧٣) ـ حين جمعهم ليدعوهم إلى الله ، قال : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فرد الله تعالى عليه بهذه السورة .

* لطيفة : من عادة العرب أنها إذا أرادت تكريم شخص أو تشريفه نادته بكنيته ، وهذا أمر مشهور معروف ، ولذا استُشكِل ذكر أبي لهب =

عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ [1]، وهذا هو أبو لَـهَبٍ .

صَبرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ واحتسبَ ، وكانَ أحرصَ الخلقِ على هِدايةِ الخلقِ إلى طريقِ الحقِّ ، لا يَنظُرُ إلى شيءٍ يمسُّه هو في ذاتِه ، لا في جسدِه ، ولا في عِرضِه ـ والعِرضُ هو مَوضعُ المدحِ والقَدحِ مِن الإنسانِ ، ويَدخُلُ فيه ما يتبادَرُ إلى الأذهانِ ، ولكنَّه عندَ العَربِ في إطلاقِه يَشمَلُ ما يُقدَحُ به المرءُ وما يُمدَحُ ـ فلمْ يكن النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ يَلتفِتُ إلى شيءٍ مِن هذَا .

❖ قصَّةُ إسلامِ ضِمادٍ رضيَ اللّه عنه :

وقد أخْرَجَ مسلمٌ في صحيحِهِ أن ضِمادًا لما نزل مكَّةَ وكانَ يَرْقي مِن الرِّيحِ ، يعني : كان يَرْقي مِن الجنُونِ ومَسِّ الشَّيْطانِ ، يَرْقي مَن أُصيبَ بذلِكَ ، فيَبْرَأُ مَن شَاءَ بِإذْنِ الله ، فَلَمَّا نزلَ مكَّةَ قالَ لهُ بعضُ السُّفهَاءِ : إنَّ محمَّدًا مجنُونٌ . و هذَا أمرٌ كبيرٌ ، لِأَنَّكَ عندما تَصِفَ سيِّدَ العُقلَاءَ

= بكنيته في معرض الإهانة والتحقير ، والجواب عن ذلك :

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في تفسير جزء عم (ص : ٣٥٠) : وهذا اللقب (أبو لهب) ـ وقد كني به لجماله ـ لقب مناسب تماما لحاله ومآله ، ووجه المناسبة : أن هذا الرجل سوف يكون في نار تلظى ، تتلظى لهبا عظيما مطابقة لحاله ومآله ، يقول الشاعر :

قل إن أبصرَتْ عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

ولما أقبل سهيل بن عمرو رضي الله عنه في قصة غزوة الحديبية قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (هذا سهيل بن عمرو ، و ما أراه إلا سُهِّل لكم من أمركم) ـ البخاري (٢٧٣١) ـ لأن الاسم مطابق للفعل ا.هـ

* لطيفة أخرى : يذكر أهل العلم من القراء وقفا لطيفا في هذه السورة ، في قوله تعالى ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ فيقولون : الوقف إنما يكون بعد قوله ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ لا قبله ، والمعنى : وامرأته كذلك ، ثم يستأنف القراءة ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ بالنصب على تقدير : أعني حمالة الحطب .

(١) ورد ذلك في بيان ثواب قارئ القرآن في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول :﴿ الٓمٓ ﴾ حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) وقال : حديث حسن صحيح ا.هـ

بِالجنُونِ ، فكأنَّما تصِفُ النَّهارَ وقد مَتَعَتْ فيه شمسُهُ بأنَّه ليلٌ بهيمٌ ، فهـذَا أمـرٌ عظـيمٌ ، ولكِـنَّ ضِمادًا رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : لأَذهبَنَّ إلى هذا الرَّجلِ فلأَرْقِيَنَّـهُ ، عـسى الله أن يُبْرِئَـهُ عـلى يـديْ . وتَصوَّرْ أنتَ الآنَ : سيِّدُ العقَلَاءِ ، ومُقَدَّمُ الأنبياءِ ، وحبيبُ ربِّ الأرضِ والسَّماءِ ، وهو خَليلُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، تَصوَّرْ خليلَ ربِّ الأرضِ والسَّماءِ يأتيهِ رجُلٌ مِن عُـرْضِ الأرضِ يقولُ : يا محمَّدُ ، قد سمِعْتُ أنَّ بكَ جِنَّة ، وأنا رَجُلٌ أَرْقي مِن الرِّيحِ ، فيـبرَأُ مـن شَـاءَ بإذنِ الله ، فهَلْ لَكَ ؟ يعني : فهلْ لَكَ رَغْبَةٌ في أن أَرْقِيكَ ، فيذهب مَسُّ جُنونِكَ ؟ يقـولُ هـذَا للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وهذا أمرٌ مَغيظٌ ، وإنَّما يكونُ لآحادِ النَّاسِ ، ممن ليسَ لـه مِن العَقلِ إلا ذَروٌ يسيرٌ ، ولا مِن الحِلمِ إلا نَزرٌ يسيرٌ ، لو أنَّه قالَ لأحدِ هؤلاءِ مثلَ هذا الكلامِ لأَوسَعهُ ضربًا ، وربَّما عدَا عليهِ فقتلَه ، ولكنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِـه وسـلَّمَ قـالَ : (إنَّ الحمدَ لله ، نحمَدُه ، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له ، وأشهدُ ألا إلـٰـه إلا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه) صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسـلَّمَ (أمَّـا بعـدُ :) فاسـتَوى ضِمادٌ فقالَ : أَعِد عليَّ كلماتِكَ هذهِ . فأعادَهَا النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسـلَّمَ مـرَّةً ومـرَّةً ، فقالَ : أمَا والله ، لقد سَمِعْتُ كلامَ الشُّعراءِ والكَهنةِ والسَّحرةِ ، فوالله مـا سَـمعتُ مثـلَ هـذا الكلامِ قَطُّ ، و إنَّه ليبلُغ ناعُوسَ البحـرِ ، و في روايـةٍ عنـدَ مُـسلمٍ : قـاموسَ البحـرِ [1] ـ أي : مُنتهاهُ وأعمقَه ـ ابْسُطْ يدَكَ لأُبايِعَك . فشَهِدَ شهادةَ الحقِّ رضيَ اللهُ تبـاركَ وتعـالَى عنـهُ وعَـن الصَّحابةِ أجمعينَ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ : (تُبايِعُ عن نفسِكَ ؟) قالَ : نَعمْ . قالَ :

---

(١) قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم (٣/ ١٦٢) : ضبطناه بوجهين :

* أشهرهما : ناعوس ، بالنون والعين ، وهذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا .

* والثاني : قاموس ، بالقاف والميم ، وهو المشهور في روايات الحديث في **غير صحيح مسلم** .

وقال القاضي عياض : أكثر نسـخ صحيح مسلم وقـع فيها : (قاعوس) بالقاف والعين ... كأنه من القعس وهو تطامن الظهر وتعمقه ، فيرجع إلى عمق البحر ولجته ا.هـ

(وعَن قومِكَ ؟) قالَ : نَعمْ .

وأرسلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ بَعدُ سَرِيَّـةً جعلَ عليهـا رجـلًا ، فمـرُّوا بقـومِ ضِمادٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ أميرُهم : هل أصابَ أحدٌ مِنكُم مِن هؤلاءِ القَومِ شيئًا ؟ فقالَ رجلٌ : نعمْ ، أصبتُ مِيضئَةً . فقالَ : أرجِعهَا ، فإنَّهم قَومُ ضِمادٍ [1] .

فتأمَّل في هذا الوَفاءِ مِن أصحابِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ معَ معرِفَةِ السَّبقِ ، وتقديمِ الحِلمِ ، بحيثُ لا يتلَجْلَجُ عندَ العَرضِ ، والإسلامُ الفِطرةُ ، والفِطـرةُ الإسـلامُ ، فـإذا أُزيلَ الغَبَشُ ، وقعَ على سوائِه ، فاستقامَتْ القُلُوبُ على طريقِها ، وعادَت الأرواحُ إلى خالقِها ومُنشِيها وبارِيهَا .

(ابْسُطْ يَدَكَ لأبايِعَك) فبايَعَ وشَهِدَ شهادةَ الحَقِّ ، ولو أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ استعمَلَ معهُ ما يستَوجِبُه كلامُه بَادِيَ الرأْيِ مَا وصلنَا إلى هذه النتيجةِ ، ولكنْ : عَلِمْتُ أنَّ بكَ جِنَّـةً ، أنَّك مجنونٌ . أهذا يُـجَابَهُ به عاقلٌ ؟ ولكنَّه يقولُ هذا لرسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وما حمَلَهُ ؟ إنَّما حمَلَهُ على ذلك ما قالَه قومُه . أليسُوا بقَومِهِ ؟ أليسُوا بعَـشيرتِه ؟ أليـسُوا بأرحامِه ؟ هم الذينَ يُعادُونَه ، وهم الذين يُقاتِلُونَه ، فهَل يُلامُ الغَريـبُ النَّـازِحُ عـلَى أنْ يـأتِيَ بمِثلِ هذا الذي أتَى بهِ ضِمادٌ أوَّلًا ؟ لا يُلامُ ؛ لأنَّه إذا كانت القَرابةُ القَريبةُ واللُّحمَةُ الوَشيجَةُ ، والصِّلةُ الواصلةُ على هذا النَّحوِ مِن الجفاءِ والعُنفِ ، والشِّدَّةِ والبُغضِ ، فهل يُلامُ بعـدَ ذلـك غَريبٌ نازِحٌ ؟ أو مُبغِضٌ كاشِحٌ ؟ [2] لا يُلامُ ، ولكنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ يأخُذُ

---

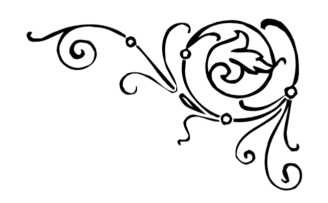
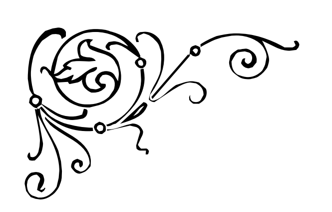
(١) حديث إسلام ضماد رضي الله عنه رواه مسـلم (٨٦٨) ، وقال الحافـظ رحمه الله تعالى في الإصـابة (٤١٩٧) : وروى مسدد في مسنده في أوله زيادة : قال : وكان ضماد صـديقا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكان يتطـبَّب ، فخرج يطلب العلم ، ثم جاء وقـد بعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فذكره ا.هـ

(٢) الكشح : الخصر ، والكاشح : هو الذي يطوي على العداوة كشحه ، هو المتباعد عنك ، يقال للذاهب : كشَحَ ؛ لأنه يمضي مبديا كشْحَه إعراضا عن المذهوب عنه ، يقال : طوى كشحه للبين والذهاب ، وهو في الشعر كثير . انظر : معجم مقاييس اللغة (ص :٩٢٨) .

القُلوبَ بأزِمَّتِها ، يدعو إلى الله على بصيرةٍ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

❖ ما يلزمُ كلَّ داعٍ إلى اللّه جلَّ وعَلا :

ألا إنَّ طريقَ الدِّينِ وسبيلَ الهِدايةِ الحقَّةِ والطريقَ المستقيمَ ، وهو صِراطُ رَبِّنا تباركَ وتعالَى القَويمُ ، وهو ما تَرَكنا عليهِ نبيُّنا محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وهي مِحنةٌ إذا ساءَتْ أخلاقُ الناسِ وانحطَّتْ مُثُلُهُم ، فَهِي محنةٌ وأيُّ محنةٌ ؟ إذ يلزَمُ كلَّ داعٍ إلى الله جلَّ وعَلا أنْ يكونَ مُترفِّعًا جادًّا ، وأنْ يجعلَ كلَّ تلكَ السَّفاسِفِ تحتَ مَواطئِ الأقدامِ ، وأنْ يَسيرَ إلى أمامَ أمامَ ، مِن غيرِ أنْ يُعقِّبَ ومِن غيرِ أنْ يلتَفِتَ ، وإلا فهو الصَّدُّ عن سبيلِ الله ، فأيُّ محنةٍ ؟ فاللهُ المستَعانُ ، وعليهُ التُّكلانُ ، وصلَّى اللهُ علَى نبيِّنا محمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصحبِه أجمعينَ .

الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ ألا إلٰـه إلا اللهُ وحدَه لا شَريكَ له ، هُـو يتـولَّى الـصَّالحينَ ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسـولُه ، صـلَّى اللهُ عليـهِ وعـلَى آلِـه وسـلَّمَ صـلاةً وسـلامًا دائمَـينِ مُتلازِمَينِ إلى يَومِ الدِّينِ ، أمَّا بَعدُ .

فإنَّ أصحابَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ تربَّوا في حَجرِ النُّبوَّةِ ، وقوَّمَ النبـيُّ صـلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ الأخلاقَ وشذَّبَها ، فاستقاموا مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسـلَّمَ وتـابوا معـه ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ ولم يتجـاوزوا الحـدَّ ﴿ وَلَا تَطۡغَوۡاْ ﴾[1] أصحابُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ كانوا على أشدِّ حساسيةٍ تكونُ مِـن فـارقٍ يَظهـرُ ويَلوحُ بَيْنَ قولٍ وعملٍ ؛ لأنَّ هذا الأمرَ لا يملؤُه إلا نفاقٌ قائمٌ ورياءٌ مُحيطٌ ، فكانوا أشدَّ النَّاسِ حساسيةً لهذا الأمرِ .

❖ قصَّةُ حَنظَلةَ رضي الله عنه في اتِّهامه نفسَه بالنِّفاقِ :

وعندَك : هذا الحديثُ لواحدٍ مِن أصحابِ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ يرصُـدُ هـذه الظَّاهرةَ ، فيما يتعلَّقُ بحالِه ، باختـلافِ أطوارِه ، وتبدُّلِ أمكِنَـتهِ وأزمِنتِه على سواءٍ ، فإذا وَجَدَ فارقًا فَزِعَ وجَزِعَ ، و لم يهدأْ له بـالٌ ، ولم يَستقِرَّ له قـرارٌ ، حتَّى يَجعلَ مُعضِـلةً قائمةً بإزاءِ قلبِه ،

---

(١) سورة هود عليه السلام ، الآية : (١١٢) .

مطروحةً بينَ يدَيْ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

حَنظَلَةُ الأُسَيِّدِيُّ رضيَ اللهُ عنهُ [1] لقيَهُ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضَاهُ ، فقالَ : كيفَ أصبحْتَ يا حَنظلَةُ ؟ وتأمَّل في رصدِ حالِه ، وفي رِعايةِ قلبِهِ ، وفي الفَتْشِ عمَّا يكمُنُ في ضَميرِهِ ، قالَ : أصبحتُ مُنافقًا . قالَ : ويْحَك ، انظُرْ ما تقولُ . فقالَ : إنَّا نكونُ عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ يُحدِّثنا عن الجنَّةِ والنَّارِ كأنَّا رأيَ عينٍ . كأنَّنا نَرى الجنَّة قائمةً ، والنَّارَ شاخصةً ، كأنَّنا نَرى أهلَ الجنَّةِ يتنعَّمونَ ، وأهلَ النَّارِ في النَّارِ يُعذَّبونَ ، يُحدِّثنا عن الجنَّةِ والنارِ ، فكأنَّا رأيَ العينِ ، يعني : كأنَّا نراها بأعيُنِنا حاضرةً ، فإذا انصرفْنَا مِن عندِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ عافَسْنَا الزَّوجاتِ والضَّيعاتِ والأولادَ ، ونَسينا كثيرًا [2] . فقالَ أبوبكرٍ رِضوانُ الله عليهِ راصدًا مِثلَ حالِه غيرَ رامٍ نفسَه بنِفاقٍ ، فقالَ : أمَا والله إني لأجدُ في نفسي مِثلَ الذي تقولُ . فذهبَا إلى الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ فقالَ : كيفَ قُلتَ يا حَنظلةُ ؟ فأعادَ عليه ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ : (أمَا والذي نفسي بيَدِه لو تَدُومُونَ على الذي تكونُونَ عليه عِندِي لصَافَحَتكُم الملائكةُ في الطُّرقاتِ ، وعلى فُرُشِكم ، ولكنْ يا حَنظلَةُ ، ساعةً وساعةً) [3] .

❖ معنى قوله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ (ساعةً وساعة) :

ساعةً تكونُ على ما تكونُ عليه عِندي ، وأُخرَى تكونُ بينَ أولادِك و عملِك ، لا أنْ يكونَ

---

(١) ضبط بوجهين : الأُسَيِّديّ ، والأُسيْديّ ، انظر : شرح النووي (٩/ ٦٨) .

(٢) قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه (٩/ ٦٩) : قوله : عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات : هو بالفاء والسين المهملة ، قال الهروي وغيره : معناه : حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به ، أي : عالجنا معايشنا وحظوظنا .

والضيعات : جمع ضيعة : وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة ، وروى الخطابي هذا الحرف : (عانسنا) بالنون ، أي : لاعبنا ا.هـ

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٠) ، وكان حنظلة رضي الله عنه من كُـتَّاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

الأمرُ كما يقولُ البطَّالونَ أنْ تكونَ ساعةٌ للرَّبِّ ، وساعةٌ للقَلبِ ، ثمَّ يَنفَلِتُونَ .

❖ معنى البصيرةِ في الدَّعوةِ إلى اللَّه تعالى :

ولنَا في هذا رَصدُ الصحابيِّ ما دارَ في قلبِه ، وما اختلَفَ مِن أحوالِـه ، لا يَخبِطُ في الحيـاة خَـبْطَ عشواءَ ، وإنَّما هو على بصيرةٍ كما أمرَ اللهُ ربُّ العالمينَ كـلَّ داعٍ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] فهو على بصيرةٍ :

* والبصيرةُ : علمٌ يدعو إليه وبه ، ويعملُ عليه .

* والبصيرةُ : معرفةٌ بحالِ مَن يدعوه ، كما بيَّن ذلك الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

* وبترتيبِ أُمورِ الدَّعوةِ إلى الله ربِّ العالمينَ .

فهي ثلاثةُ أشياء ، وكلُّ مَن دَعا إلى الله لا على بصيرةٍ فهو مِن المفسدينَ في الأرضِ ، وهـو مِـن الصَّادِّينَ عـن سـبيلِ الله ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فمن تخلَّفَتْ عنده البصيرةُ ، وليست العلمَ فقطْ ، وإنَّما هي :

* العلمُ .

* والمعرفةُ بأحوالِ المدعوِّ وتركيبةِ المجتمعِ ، وحالِ أهلِ الدَّعوةِ إلى الله ربِّ العالمينَ ، هذا كلُّـه شيءٌ : كما في حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما في الصَّحيحَينِ [2] لما أرسلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليـهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ مُعاذًا رضيَ اللهُ عنهُ إلى اليَمنِ ، قـالَ : (إنَّـك تـأتي قومًـا مِـن أهـلِ الكِتـابِ) فأعلَمَه بحالِ المدعوِّينَ ، فإنَّك إذا دعوتَ رجلًا مِن أهلِ الكِتابِ ، لا تدعـوه بمِثلِ ما تدعو به

(١) سورة يوسف عليه السلام ، الآية : (١٠٨) .

(٢) البخاري (١٤٩٦) ومسلم (١٩) .

مَن كانَ كافرًا مُلحِدًا ، أو مَن كانَ زِنديقًا فاجرًا ، أو مَن كانَ ثَنَويًّا [1] بغيضًا ، وإذا دعوتَ رجلًا مُسلِمًا مُقصِّرًا أو مُبتدِعًا لا كما تدعو كافرًا ولا رجلًا مِن أهلِ الكِتابِ ، وإنَّما تُتَنزَّلُ الأمورُ على منازلِها .

* والبصيرةُ أيضًا معرفةٌ بترتيبِ الدَّعوةِ إلى الله جلَّ وعلا .

فقد قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ لمعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّك تأتي قومًا مِن أهلِ الكِتابِ ، فليَكُن أوَّلَ ما تدعو إليه أنْ يَشهدُوا ألا إلٰه إلا اللهُ) وفي روايةٍ : (أن يوحِّدُوا اللهَ) فهذا أوَّلُ مَدعُوٍّ إليه ، فرتَّب له أُمورَ الدَّعوةِ ، وعرَّفه بحالِ المدعوِّينَ ، وعلَّمه كيفَ يدعو إلى ربِّ العالمينَ (فإنْ هم أجابوكَ لذلكَ ، فأَعلِمْهُم أنَّ الله قد فَرَضَ عليهم في اليومِ واللَّيلةِ خمسَ صلواتٍ ، فإنْ هم أجابوكَ لذلكَ فأَعلِمْهُم أنَّ الله قد فَرَضَ عليهم في أموالِهم صدقةً ، تُؤخَذُ مِن أغنيائِهم ثُمَّ تُرَدُّ على فُقرائِهم) .

وأمرَهُ باستعمالِ الحِلمِ والعِلمِ ، وكانَ قد أرسلَه ، وأرسلَ أباموسى رِضوانُ الله عليهِم ، فقالَ : (بَشِّرا ولا تُنَفِّرا ، وتَطاوَعا ولا تختلِفَا) [2] لأنَّهما إذا نفَّرا ، ولم يُبشِّرا ؛ كان صدًّا عن سبيلِ الله ، الذي يُنفِّر الناسَ عن المهيَعِ الحقِّ والطريقِ الصِّدقِ ، صادٌّ عن سبيلِ الله تعالى ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ آمرًا وناصحًا : (بشِّرا ولا تُنفِّرا) ثم أمرَهما بأمرٍ كبيرٍ ؛ لأنَّ

---

(١) الثنوية : مذهب من مذاهب الفُرس قبل الإسلام ، يقول بأن للعالم صانعان : النور والظلمة .

(٢) رواه البخاري (٤٣٤١) ومسلم (١٧٣٣) .

قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه (٦/ ٤٤) مبينا فقه الدعوة من الحديث :

وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله و عظيم ثوابه ، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محَضةً من غير ضمِّها إلى التبشير ، وفيه : تأليف من قَرُب إسلامه وترك التشديد عليهم ، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ، ومن بلغ ، ومن تاب من المعاصي كلهم يتلطف بهم ويُدرَجون في أنواع الطاعة قليلا قليلا ، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج ، فمتى يُسِّر على الداخل في الطاعة ، أو المريد للدخول فيها سُهِّلت عليه ، وكانت عاقبته غالبًا التزايد منها ، ومتى عُسِّرَت عليه أوشك ألا يدخل فيها ، و إن دخل أوشك ألا يدوم عليها ، أو لا يستحليها ، وفيه : أمر الولاة بالرفق ا.هـ

النَّاسَ سينظرونَ إليهما ويقولونَ : هما رسولا رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، فإذا لم يَتطاوَعَا ، واختلفَا ، وإذا ما تَعانَدا وتَجانَبا ، فعُمومُ الناسِ ممَّن ليسَ كذلكَ و لا مِنه مُقترِبًا يقولُ : لو كانَ في هذا الطَّريقِ مِن خيرٍ لأصابَ هذينِ بَدءًا ، فقالَ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ : (تَطاوعَا ولا تختلفَا).

وقالَ لمعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ كما في حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قالَ : (وإيَّاكَ وكرائِمَ أموالِهم) فمحبَّةُ المال لائطةٌ [1] بالقلوبِ مُلتصِقةٌ بها ، فإذا أخذتَ كرائمَ أموالِ هؤلاءِ لم تكُنْ داعيًا ، وإنَّما كنت جابيًا ، والدُّعاةُ إلى الله ربِّ العالمينَ ليسوا بجُباةٍ ، يترفَّعُونَ عنْ أموالِ الناسِ ، باركَ اللهُ لكُمْ فيما في أيديكُمْ ، ونسألُ اللهَ أنْ يرزقَنا خيرًا مما رزقكُم ، وأنْ يُبارِكَ لكُم فيما آتاكُم [2] .

❖ الدَّاعي إلى الله ربِّ العالمين يترفَّعُ عمَّا في أيدي النَّاس :

الدَّاعي إلى الله ربِّ العالمينَ يترفَّعُ عمَّا في أيدِي الناسِ ، ولا تَتطلَّعُ نفسُه ولا عينُه إلى شيءٍ مِن ذلكَ ؛ لأنَّه يعدُّه جميعَه مَحقُورًا في جنبِ الله ربِّ العالمينَ [3] .
والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ لم يُبقِ شيئًا ، ولم يَدعْ أمرًا ، وميراثُه لأهلِ الخيرِ مِن أمَّتِه ،

---

(١) لائطة : من لَوَطَ ، وهي كلمة تدل على اللصوق ، يقال : لاط الشيء بقلبي ، إذا لصق به . انظر : معجم مقاييس اللغة (ص : ٩٤٣) .

(٢) تنبيه : الشيخ حفظه الله تعالى في قوله (بارك الله لكم فيما في أيديكم ...) إلى آخره ، لا يخاطب به من أمامه من الناس ، وإنما يريد حكاية قول كل داع إلى الله ، وأنه يكون مترفعا عما في أيدي الناس .

(٣) لا كما يفعله أئمة الضلال من مشايخ الصوفية والشيعة غيرهم ، الذين يجمعون خزائنهم ويكدِّسونها بالأموال ، مما يقدِّمه الأتباع المساكين من القرابين وغيرها تقربا إلى الله تعالى بزعمهم ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين ، ولمثل هذا السبب وأمثاله تجد هؤلاء الضلَّال متمسكين بآرائهم وضلالاتهم ، مع علمهم بالضلال الذي هم عليه ، لكنهم يقولون كما قال هِرَقْل حين بعث إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعوه إلى الإسلام ، فعرف أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو النبي الحقُّ ، لكنه لم يسلم ، وقال : إذن يذهب ملكي ! ثم كان ماذا ؟ ذهب وذهب ملكه . وأئمة الضلال على خطاه ماضون ، نسأل الله السلامة والعافية .

للعلماءِ (إنَّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ ، ما تركناهُ صدقةٌ) [1] ومعَ ذلكَ فالعُلماءُ وَرَثةُ الأنبياءِ كما قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

فتأمَّلْ : إنَّه لا يَرِثُ أحدٌ أحدًا إلَّا لوَشيجةٍ وصلَةٍ من عصَبٍ أو نسَبٍ أو مُصاهرَةٍ أو رَحمٍ علَى ترتيبٍ معهودٍ معروفٍ ، والرَّسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ يقولُ : (العُلماءُ وَرَثةُ الأنبياءِ) [2] وأنتَ خبيرٌ بأنَّ ما تركَه الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ العلمُ ، (إنَّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ ، ما تركناهُ صدقةٌ) فما الذي يُورَثُ مِنه صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ؟ العِلمُ الذي آتاهُ الله إيَّاهُ ، والذي بعثَه اللهُ ربُّ العالمين بهِ ، نسألُ اللهَ ربَّ العالمينَ أنْ يجعلَ لنا مِنه النَّصيبَ الأوفَى ، والقَدَحَ المعلَّى [3] ، إنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

فالدَّاعي إلى الله ربِّ العالمينَ مُترفِّعٌ جادٌّ لا يتطلَّعُ إلى أموالِ الناسِ ، ولا إلى ما آتاهمُ اللهُ تعالى مِن دُنيا ، بارَكَ اللهُ لكُم في دُنياكُم ، وزادكُم حِلمًا وعِلمًا .

والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ كانَ يُعطي ولا يَأخُذُ ، يُعطِي عطاءَ مَن لا يَخشَى الفقرَ .

قالَ : (وإيَّاك ودَعوةَ المظلومِ ، فإنَّه ليسَ بينَها وبينَ الله حجابٌ) اجعَلْه قائمًا على الصِّراطِ المستقيمِ ، الذي هو أحَدُّ مِن السَّيفِ وأدَقُّ مِن الشَّعرةِ ، ليقومَ عليهِ قيامًا بأمرِ الله ربِّ العالمينَ داعيًا إليه ، مُبصِّرًا بأمرِ الله ربِّ العالمينَ وسُنَّةِ نبيِّه صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ .

❖ الدنيا مُنقضِيةٌ زائلةٌ وهي لا تُساوِي عندَ اللّه جَناحَ بَعوضةٍ :

ألا إنَّ الحياةَ مُنقضِيةٌ وزائلةٌ ، وهي لا تَسوَى عندَ الله ربِّ العالمينَ جناحَ بعوضةٍ ، و لو كانتْ

---

(١) رواه البخاري (٢٧٢٦) ومسلم (١٧٥٩) ولفظهما : (لا نورث ، ما تركنا صدقة) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٣٨) والترمذي (٢٦٨٣) ، وابن ماجه (٢٢٣) وهو في صحيح الجامع الصغير (٦٢٩٧) .

(٣) القدح هو : آنية الشرب ، وكانت العرب في الجاهلية تستقسم بالأزلام ، وهي مجموعة من القداح تطلق على أكبرها : القدح المعلى =

تُساوِي عندَ الله جَناحَ بعوضةٍ ، ما سَقى كافرًا منها شَربةَ ماءٍ ، كما قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ [1] ، فالدُّنيا كلُّها ، مُنذُ أنْ خلقَها اللهُ ، لا تُساوِي عندَ الله جلَّ وعَلا جَناحَ بعوضةٍ ، في جميعِ أعصارِهَا ، وجميعِ أمصارِهَا ، بكُلِّ كُنوزِها وبَهجتِهَا وزِينَتِها وعَتادِهَا ، لا تُساوِي عندَ الله جَناحَ بَعوضةٍ .

وأنتَ في لمحةٍ خاطِفةٍ مِن حياتِكَ على هذهِ الأرضِ لا تملِكُها كلَّها ، ولا تملكُ أكثرَهَا ، ولا شيئًا مِن ذلكَ يكونُ ، وإنَّما أنتَ تملكُ شيئًا يسيرًا ونَزْرًا قليلًا ، في زمانٍ محدودٍ ، بمكانٍ محدودٍ لأمَدٍ معلومٍ ، ثمَّ إذا ما قارنْتَ هذا بما جعلَ اللهُ تعالى في الأرضِ مُنذُ أنْ خَلَقها إلى أنْ يَرِثَها فما يَبلُغ هذا مِن هذا ؟ ما يَبلغُ نصيبُك أنتَ مِن جَناحِ بعوضةٍ ؟ ما يَبلغُ ؟! وهي كُلُّها مُنذُ أنْ خَلَقَها إلى أنْ يَرِثَها ، لا تُسَاوِي عندَ الله جَناحَ بعوضةٍ .

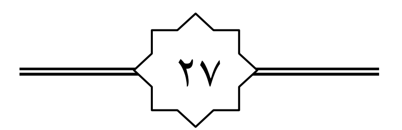
فانظرْ يا هذَا نصيبَك مِن الجَناحِ ما يكونُ ، واعرِفْ قَدْرَك ، والزَمْ حدَّك ، واستقِمْ على مِنهاجِ ربِّك ، وإيَّاك والحيدَ عن الصِّراطِ المستقيمِ ، وتحمَّلْ أذَى النَّاسِ وبلاءَهُم ، **وتحمَّل بالأَدَبِ مَا في أخلاقِ النَّاسِ مِن قِلَّةِ الأَدَبِ** ، واستَعِنْ بالله ربِّ العالمينَ ، وكُنْ على الله مُتوَكِّلًا ، ولهُ ذاكِرًا ، وعليهِ مُقبِلًا ، وعلَى الصِّراطِ المستقيمِ سائرًا ، سدَّدَ اللهُ على طريقِ الحقِّ خُطاكَ ، وأحْسَنَ لي ولكَ العاقبةَ ، وصلَّى اللهُ علَى نبيِّنا مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ [2] .

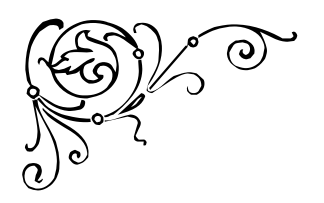
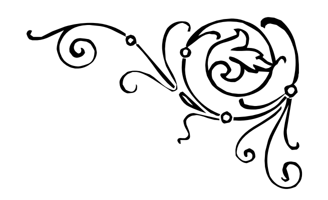


= والمقصود هنا : الحظ الأوفر والنصيب الأكبر .

(١) رواه الترمذي (٢٣٢١) وصححه ، وهو في صحيح سنن الترمذي (٢٣٢٠) وصحيح الجامع الصغير (٥٢٩٢) .

(٢) تم الفراغ من تفريغ هذه الخطبة والتعليق عليها بعد عشاء يوم الاثنين : العاشر من ربيع الثاني سنة ١٤٣٠ .



فهرس الموضوعات والفوائد

❊ هذه العلامة للعنوايـن التي في المتن .

❖ وهذه للفوائد المذكورة في الحاشية .

